سلاطين بني مرين في مدينة تلمسان
تشييد العمائر واستقطاب العلماء .. أية علاقة؟

مريم سكاكو

محافظ التراث
المتحف العمومي الوطني للفن والتاريخ
مدينة تلمسان – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

لقد احتلت مدينة تلمسان مركزًا متميزًا في المغرب الأوسط منذ العهد الموحدي وكانت ممثلة لبقية مدنه إلى حد كبير، وبتحولها إلى حاضرة ملك بني عبد الواد فإنها لم تكن بمعزل عن منافسة جارتيها الحفصية والمرينية لاستقطاب ما أمكنها من العلماء، فحرص سلاطين الدول المغربية على أن تضم بلاطاتهم أكبر عدد من العلماء والفقهاء والشعراء، وبذلوا لذلك جهودًا عظيمة وأظهروا بالغ الاهتمام لدرجة خلق جو من المنافسة من أجل استقطاب أولئك العلماء. فتوطيد أركان الدولة يعتمد على ركيزة دينية وفكرية وعلمية يمثلها الفقهاء والطلبة وأهل العلم بصفة عامة، وبالتالي فإن منشآت عمرانية بتلك الضخامة والأبّهة كالتي خلّدها بنو مرين في تلمسان تدخل في هذا الإطار؛ وبالتالي يجب التأكيد على أن استيلاء بني مرين على تلمسان خاصةً أيام السلطانين أبي الحسن وأبي عنان لم يكن ليوقف ركب التقدم الفكري، فقد استمر النشاط الديني والتعليمي حافلاً مثلما كان في عهد بني عبد الواد، ويظهر من خلال المصادر أن الأطر العلمية من أساتذة ومدرسين وعلماء كانت متبادلة بين المؤسسات التعليمية والدينية، وتؤكد أيضًا ظاهرة تنقل العلماء بين مختلف الحواضر المغربية بما فيها حواضر المغربين الأوسط والأقصى، للمشاركة في المحاضرات والمناقشات العلمية أو استكمال الدراسة بالمعاهد المغربية، فضلاً عن احتضان المجالس العلمية لسلاطين بني مرين لعدد من أولئك العلماء التلمسانيين الذين كان لهم الدور الفعال في مجالات مختلفة لاسيما بعد أن أوكلت إليهم وظائف في البلاط أو مهام خارج حدود الدولة مع كل ما تتطلبه من الكفاءة والثقة تشهد على مكانتهم الأقوال المتواترة في مختلف المصادر من قبل التلاميذ والشيوخ وحتى السلاطين أنفسهم.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٤ أكتوبر ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢٠ يناير ٢٠١٥

كلمات مفتاحية:

المنشآت العمرانية، البلاط المريني، علماء تلمسان، المغرب الأوسط، العصر المريني

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

مريم سكاكو. "سلاطين بني مرين في مدينة تلمسان: تشييد العمائر واستقطاب العلماء.. أية علاقة؟".- دورية كان التاريخية.- العدد الثامن والعشرون؛ يونيو ٢٠١٥. ص ١٠٠ – ١٠٧.

مُقَدِّمَة

بلغت العلوم والآداب على عهد الدّولة الموحدية مبلغًا عظيمًا من التقدّم والازدهار، ومن مظاهر ذلك كثرة العلماء النابغين في مختلف المجالات، وقد تفاوت تواجدهم عبر حواضرها عددًا وتوزعًا جغرافيًا. وقد احتلت مدينة تلمسان مركزًا متميزًا في المغرب الأوسط منذ العهد الموحدي وكانت ممثلة لبقية مدنه إلى حد كبير، وبتحولها إلى حاضرة ملك بني عبد الواد فإنها لم تكن بمعزل عن منافسة جارتيها الحفصية والمرينية لاستقطاب ما أمكنها من العلماء، فالنزاع السياسي والصراع العسكري المحتدم وما نجم عنه من إهلاك للحرث والنسل واكتساح أدى في العديد من المرات إلى اختفاء رسم دول بأكملها، صاحبه تنافس من نوع آخر استهدف بدرجة أساس الظهور بمظهر القوة والعظمة من جهة، واستكمالاً لأبهة الملك من جهة ثانية.

فقد حرص سلاطين الدول المغربية على أن تضم بلاطاتهم أكبر عدد من العلماء والفقهاء والشعراء، وبذلوا لذلك جهودًا عظيمة وأظهروا بالغ الاهتمام لدرجة خلق جو من المنافسة من أجل

استقطاب أولئك العلماء، لكن المثير للانتباه هو مساعي بعض السلاطين لاجتذاب ما لدى منافسيه من علماء وأدباء، من ذلك جهود سلاطين بني مرين لاستمالة علماء وفقهاء تلمسان وضمهم إلى مجالسهم العلمية الرسمية – وقسرًا في بعض الأحيان، فالحديث عن نجاحهم في الوظائف والمهام التي قاموا بها بكل أمانة وإبداع في البلاطات التي خدموا بها هو حديث عن النخبة التي تم انتقاؤها بعناية من قبل الأمراء والسلاطين، ونظموها في مجالسهم العلمية الرسمية في إطار مساعيهم الحثيثة لحماية تراثهم الفكري ونقله للأجيال اللاحقة، وبعث الحركة العلمية في بلدانهم على أعلى المستويات لدرجة يمكن معها وصف تلك المساعي على أنها (صراع حضاري) ضمن تلك الصراعات التي رافقت ظهور دول جديدة على تراب المغرب الإسلامي عقب انهيار الدولة الموحدية، وهذه الظاهرة ميزت كل الدول المغربية التي ورثت الدولة الموحدية فقد سعت -كل حسب إمكاناتها- إلى الظهور في أعظم صور الأبهة والسلطان، فتميزت منها الدولة المرينية[١] التي لم تكتف بمَنْ أم بلاطها من علماء، وراحت تجتذب من لدى أقرب منافسيها وهي جارتها الدولة الزيانية، فبعد استقرار أوضاعها السياسية وازدهار الحياة الاقتصادية في مدنها، اهتم حكامها بالعلم والعلماء وشجعوهم بالحظوة المعنوية والمكافآت المادية الجزيلة.[٢]

أولاً: المنشآت العمرانية لبني مرين في تلمسان

لقد عكست العمارة الإسلامية صورًا ومظاهر معبّرة عن المنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي، ورؤيته الدينية والاجتماعية والاقتصادية التي حددها الإسلام، وشخّص معالمها الرسول الكريم(ﷺ) وحصر شروطها وأركانها الفقهاء والمفكرون والفلاسفة كل حسب اجتهاده وفهمه لما ورد في القرآن والسنّة من أوامر ونواهي ساعدتهم على رسم صورة لمختلف جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي،[٣] فجاءت المدن الإسلامية مستجيبة لتطلعات المسلم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.[٤]

ولما كان توطيد أركان الدولة لا يأتي بالقوة العسكرية فحسب، بل لا بد من الاعتماد على ركيزة دينية وفكرية وعلمية يمثلها الفقهاء والطلبة وأهل العلم بصفة عامة[٥]، وبالتالي فإن منشآت عمرانية بتلك الضخامة والأبّهة كالتي خلّدها بنو مرين في تلمسان تدخل في هذا الإطار، فحتى لو سلمنا بأنها أنشئت من قبيل الاهتمام بالتبرك بالصلحاء[٦] أو تخليد ذكرى عالم معين[٧]، أو حتى اعتبارها من مقتضيات النمو الثقافي الذي شمل أقطار المغرب الإسلامي خلال تلك الفترة[٨]، فإن الأمر لم يخل من مطامح سياسية بالتأثير على مختلف الشرائح الاجتماعية والظهور أمامهم بمظهر رعاة الدين والعلم وخدمة مصالح الجماعة[٩]، ونزع نظرة الغزاة الطامعين من نفوسهم[١٠]، بل لما اتخذ سلاطين بني مرين العلم من مظاهر دولتهم كان في تشييد تلك العمائر وتنشيط حركة البناء باعتبارها مظهرا لحياتهم الراقية[١١] من جهة، وبحثًا عن الشرعية التي كانت تنقصهم من جهة ثانية[١٢]؛ لكن أعظم أولئك السلاطين في هذا الجانب هو أبو الحسن المريني، وأهم ما ساعده في ذلك الرخاء الاقتصادي[١٣]، وكان بناءه لمثل تلك المنشآت دلالة على إلحاق تلمسان بممتلكاته في المغرب الأقصى، وتعبيرًا منه على أهميتها وتقديره لها، ومحاولة التأثير على سكّانها استرضاءً لهم للانضمام إليه والقبول بمشاريعه.[١٤]

وتتمثل أهم المنشآت العمرانية المرينية في تلمسان فيما يلي:

١/١- المساجد:

قام المسجد بمختلف أشكاله وأحجامه بدور كبير كأداة تعليم وتربية ونشر للثقافة، وهي أداة لا تتجه لطبقة خاصة من المجتمع بل إنها مؤسسة شعبية تتصل بعامة الناس على الدوام، وتبلغ التعاليم نفسها في كل مكان مما يؤدي إلى بروز إطار فكري واحد[١٥] وقد وجد سلاطين بني مرين في بناء المساجد في تلمسان رافدًا للتعامل مع أشمل فئة من سكان المدينة وتلك المساجد هي:

١- **مسجد المنصورة:** بُني هذا المسجد في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني في أثناء حصاره لمدينة تلمسان سنة (٦٩٨هـ/١٢٩٨م)، فبعد أن اختط بمكان فسطاط معسكره قصرًا لسكناه، اتخذ به مسجدًا للصلاة ثم أمر الناس بالبناء وأدار سياجًا من الأسوار عليها، فكان المسجد الذي شيده سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)، من أعظم المساجد لما خصه به من اهتمام خاصة مئذنته[١٦] التي لا تزال ماثلة للعيان؛ بل واعتبر بناء مدينة المنصورة انتصارًا حضاريًا حقّقه أبو يعقوب إلى جانب انتصاراته العسكري.[١٧]

٢- **مسجد سيدي أبي مدين:** شُيد بأمر من السلطان أبي الحسن علي سنة (٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، في قرية العباد بجانب ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب، وأوكل الإشراف على بنائه لعم صاحب المسند ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق).[١٨]

٣- **مسجد سيدي الحلوي:** شُيد هو الآخر تخليدًا لذكرى العالم الصوفي الشهير أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي (ت. ٧٣٧هـ/١٣٣٧م) بأمر من السلطان المريني أبي عنان فارس، وهو يشبه إلى حد كبير مسجد سيدي بومدين.[١٩]

٢/١- المدارس:

لم يقتصر اهتمام بني مرين على بناء المدارس في عاصمتهم فاس فقط، وإنما شمل سائر البلاد التي حكموها بما فيها بلاد المغرب الأوسط اشتهر منها في تلمسان:

١- **مدرسة سيدي أبي مدين:** أنشأها السلطان أبو الحسن علي سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٧م)، في قرية العباد وغلب عليها اسم العباد، أطلق عليها أيضًا اسم المدرسة الخلدونية في فترات لاحقة ولعل هذا راجع إلى كون عبد الرحمن بن خلدون قد تعلم بها.[٢٠]

٢ - **مدرسة سيدي الحلوي:** تعتبر ثاني مدرسة مرينية في تلمسان، بناها السلطان أبو عنان فارس سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، بجوار ضريح المتصوف أبي عبد الله الشوذي المعروف بسيدي الحلوي سيرًا على نهج والده ومشاريعه العمرانية دعمًا للحياة الفكرية وإحياءً لتقاليد

المذهب المالكي وفروعه.[٢١] وبهذا يكون بنو مرين قد خلّدوا محبّتهم للعلم وأهله بهذه الآثار، وفي هذا قيل:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيان
إنّ البناء غدا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن[٢٢]

ثانيًا: أدوار علماء تلمسان في البلاط المريني

ولعل الاهتمام الذي حظيت به فئة العلماء راجع إلى الأدوار الكبيرة التي قاموا بها عبر المسيرة التاريخية لبلاد المغرب، والتي تركّزت في مرحلة الفتح في نشر الإسلام وتثبيته وتعميقه في نفوس أهل المغرب الإسلامي ونشر اللغة العربية في هذه الربوع[٢٣]، ثم تعاظمت تلك الأدوار في الحقب التالية للفتح واستقرار الإسلام وبرزت بشكل خاص في العصر الوسيط الذي تميز بحواضره التي تغذّت بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوح، وأصبحت مراكز إشعاع ثقافي استقطبت العديد من رجال العلم والصلاح[٢٤] من بينها (تلمسان) التي اتخذها بنو عبد الواد قاعدة لملكهم وحرصوا على استقدام أكبر عدد من العلماء إليها، فكان هذا الأمر مدعاة للتنافس مع جارتيها الحفصية والمرينية.

وفي هذا الإطار يجب التأكيد على أن استيلاء بني مرين على تلمسان خاصةً أيام السلطانين أبي الحسن وأبي عنان لم يكن ليوقف ركب التقدم الفكري، فقد استمر النشاط الديني والتعليمي حافلاً مثلما كان في عهد بني عبد الواد[٢٥]، ويظهر من خلال المصادر أن الأطر العلمية من أساتذة ومدرسين وعلماء كانت متبادلة بين المؤسسات التعليمية والدينية، وتؤكد أيضًا ظاهرة تنقل العلماء بين مختلف الحواضر المغربية[٢٦] بما فيها حواضر المغربين الأوسط والأقصى، للمشاركة في المحاضرات والمناقشات العلمية أو استكمال الدراسة في المعاهد المغربية[٢٧]، فضلاً عن احتضان المجالس العلمية لسلاطين بني مرين لعدد من أولئك العلماء التلمسانيين الذين كان لهم الدور الفعال في مجالات مختلفة لاسيما بعد أن أوكلت إليهم وظائف في البلاط أو مهام خارج حدود الدولة مع كل ما تتطلبه من الكفاءة والثقة تشهد على مكانتهم الأقوال المتواترة في مختلف المصادر من قبل التلاميذ والشيوخ وحتى السلاطين أنفسهم، ومن بين المجالات التي تميز فيها علماء تلمسان:

١/٢- الخطابة والفتوى:

لقد كانت مقاييس اختيار الخطيب صعبة، لأن الجمهور يشترك في الحكم عليه، بخلاف المفتي والقاضي اللذين يتوليان وظيفة سياسية، دينية، ومن شروط الخطيب الفصاحة وجودة الصوت وسعة الإطلاع والجرأة الأدبية[٢٨]. في حين نجد أن إشادة وثناء بعض العلماء على السلاطين في خطبهم كان من أسباب توليتهم الخطابة وتقريبهم، وأوضح مثال نسوقه هو ابن مرزوق الخطيب الذي عينه السلطان أبو الحسن خطيبًا في جامع العباد.[٢٩] وصفه يحي بن خلدون بقوله: "...الخطيب المصقع ذو وجاهة عند السلطان...."[٣٠]

من جهة ثانية، كانت بلاغات الدولة الرسمية تُقرأ عند إقامة صلاة الجمعة، وكانت خطبة الجمعة تبدأ بالصلاة على النبي الكريم(ﷺ)، والتسليم على خلفائه الأقربين، والدعاء للسلطان القائم، فإذا كان ثمة نزاع على السلطة بين عدة متنافسين كان لخطبة الجمعة شأن سياسي كبير،[٣١] فالمسجد وإلى جانب الأدوار التي اضطلع بها منذ مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في سائر مصالح المجتمع ليشمل ذلك الدور في العصر الوسيط الجانب السياسي أو ما يمكن وصفه بالتوظيف السياسي للمسجد.

بينما تتمثل أعلى وظيفة يتولاها العالم في الفتوى، ذلك أنها تحتاج إلى درجة عالية من العلم والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه وعلوم الحديث والقياس ونحو ذلك، كما تتطلب قوة الشخصية والنزاهة والصلاح والشجاعة في الرأي والثبات على قول الحق، ونسجل في هذا الإطار العديد من المواقف لعلماء من تلمسان ثبتوا على آرائهم ولم يخافوا في الله لومة لائم بداية من ابني الإمام الذين عدا "... من جلّة العلماء وبقية من السلف العظماء، لم يكن في زمانهم أعظم منهم قدرًا ولا أعلى ذكرًا ولا أوقع نهيًا عند الملوك ولا أمرًا..."[٣٢] فكانا موضع استشارة السلطان أبي الحسن في جميع أمره، وحضرا معه أهم معاركه، بل وكانا مَنْ يشير عليه بعلماء آخرين ممَنْ ينظمهم في مجلسه.[٣٣] ونسوق كمثال على مدى امتثال السلطان أبي الحسن بما يشير عليه به ابن الإمام قضية ندبه الناس إلى الإعانة بأموالهم على الجهاد فقال له أبو زيد: "لا يصح لك هذا حتى تكنس بيت المال وتصلي فيه ركعتين كما فعل الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-".[٣٤]

٢/٢- التعليم:

لمّا كان التّعليم مقدمة لأية نهضة ثقافية، وحجر الزاوية في دفع الحركة العلمية والفكرية وتوسيع رقعتها وترقية المجتمع حضاريًا[٣٥]، وجد سلاطين بني مرين في إلحاق أبرز العلماء بمجالسهم فرصة للاضطلاع على ما استجد من مناهج التعليم وطرائقه باعتبار هذه الأخيرة تابعة للشيخ نفسه[٣٦]، وفي نفس الوقت فرصة لتجديدها هذا من جهة. ومن جهة ثانية؛ يلاحظ أن أولئك العلماء آثروا التدريس على غيره من الرّتب السلطانية في حال إكراههم على الخدمة باسم السلطة الحاكمة – كما سبقت الإشارة – واعتبروا مهمة التعليم والجلوس إلى طلبة العلم أجلّ رسالة يحيون في سبيل تبليغها، ومن هنا كان تأثيرهم في أوسع فئة من الناس من خلال المجالس التي أداروها في مختلف أماكن العلم بما فيها قصر السلطان وبحضرته، والمثال الذي سوف نسوقه يعكس عمق الأثر الذي تركه نشاط علماء تلمسان في هذا المجال – طبعًا دون إغفال أدوار علماء الأقطار الإسلامية الأخرى- لكن ما تجدر الإشارة إليه بدايةً؛ هو أن أوضاع التعليم اختلفت في أقطار المغرب والأندلس، فتراوحت بين محافظ على اتصال سنده بالمشرق عبر

شيوخ كبار، وبين منقطع السند، وقد أثّر هذا الأمر على مستوى التعليم وطريقته.[٣٧]

فبينما شهدت إفريقية نهضة علمية ابتداءً من منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي بفضل أبي القاسم ابن زيتون الذي رجع من رحلته إلى المشرق بعلم كثير وتعليم حسن، ثم بعده أبو عبد الله بن شعيب الدكالي، فأحد عنهما أهل تونس واتصل سند تعليمها في تلاميذهما جيلاً بعد جيل حتى انتهى إلى القاضي ابن عبد السلام وانتقل من تونس إلى تلمسان بفضل ابني الإمام ثم أبي علي ناصر الدين المشدالي ورغم قلقهم التي يخشى معها انقطاع سندهم، إلا أنه بقي متصلاً بفضل تلاميذهم أيضًا.[٣٨]

وهذا على عكس فاس التي أصبحت خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض قرطبة والقيروان[٣٩]، بعد أن نمت علميًا بما أشع عليها من هاتين الحاضرتين ونفقت علومها حتى عهد الدولة الموحدية حسب شاهد من أهلها: "ومدينة فاس هذه هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة... فلما اضطرب أمر القيروان و... قرطبة رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة...فنزل أكثرهم مدينة فاس..."[٤٠]، فانقطع سند التعليم عنهم ما أدّى إلى قصور التعليم عندهم وغياب ملكة التصرف فيه إذا علّموا أو ناظروا[٤١] فيلازمون المدارس ستة عشرة سنة دون الحصول على المبتغى وبعد أن لازموا المجالس العلمية سكوتًا لا ينطقون وعنايتهم بالحفظ فقط[٤٢] فجاءت دعوة سلاطين بني مرين إلى المناظرة العلمية، فأبو الحسن المريني لمّا جلب معه من فاس وتلمسان أشهر الفقهاء والكتّاب، كان يهدف إلى إثارة الحوار والمناقشة بين علماء تونس الذين يغلب عليهم الدراية والتحصيل، وعلماء فاس الذين يغلب عليهم الحفظ، وذلك أثناء جلسات الدراسات والمناقشات العلمية التي كان يلذّ له تنظيمها والإشراف عليها[٤٣] وهذا ما وجّه إليه السلطان أبو عنان عندما أحسّ بذلك القصور في طريقة التعليم[٤٤] وحاول أن يفهم القائمين على التدريس بأهمية موقعهم وضرورة أن يكونوا على اضطلاع بما استجد من علوم وطرائق البحث فيها، وهذا الأمر يدخل ضمن مجهوداتهم كسلاطين للنهوض بالحركة العلمية والاستفادة من علماء الحواضر الأخرى وهذا يظهر من خلال قوله للفقيه الصرصري: "أنا أمرتك بذلك كي تعلم ما عندك من العلم وما عند الناس وتعلم أن دار المغرب هي كعبة كل قاصد فلا يجب تتّكل على حفظك وتقتصر على ما حصل عندك ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدّي عن ملاقاة من يرد من العلماء والتنزل للأخذ عنهم، ولا يقدح ذلك في رتبتك..."[٤٥]

إن هذه القصة تدفعنا إلى التساؤل عن سبب عدم قيام علماء فاس بالاحتكاك بالعلماء الوافدين خاصةً علماء تلمسان بحكم الرّحلات العلمية المتبادلة وحتى في الفترات التي خضعت فيها تلمسان للحكم المريني، وفي كل مرة كان يتم إلحاق علماء من تلمسان بالمجالس العلمية لسلاطين بني مرين مع ما تتيحه هذه الفرصة من تقارب وتبادل بين أولئك العلماء. فهل عزلة العلماء القائمين على التدريس في المغرب الأقصى هي السبب وراء ضعف دروسهم إلى جانب تأصل طريقة الحفظ والاستظهار،[٤٦] وهل رأوا أن أخذهم عن علماء وافدين انتقاص لهم مع ما نالوه من مكانة لدى سلاطينهم، وهذا ما يستشف من قول السلطان أبي عنان: "ولا يقدح ذلك في رتبتك عندنا إن شاء الله". وعلى العموم، فبادرة السلطان هذه دعوة للبحث عن أساليب جديدة في ميدان التعليم خاصة المحاورة والمناظرة وهو أسلوب تميزّ به علماء تلمسان وليس أدلّ على هذا الأمر من اختصاص أبي عنان مدرسته المتوكلية أعظم المدارس بالإمام أبي عبد الله المقري وبنائها له عند انتقاله إلى فاس.[٤٧]

٣/٢- التأليف:

كان الواقع في كل عصر وكل دولة تأليف الكتب للخلفاء والأمراء، فما من أمير ولا ملك محب للعلم إلا اجتمع العلماء حوله وألّفوا له الكتب فيما يحبّ من فروع العلم[٤٨] وهو ما كان بين سلاطين بني مرين وعلماء تلمسان الذين نظموهم في مجالسهم العلمية، فبينما وجد فيهم أولئك السلاطين مرجعًا للنصح والمشورة لقي هؤلاء العلماء الدعم والرعاية لأعمالهم الفكرية والعلمية والثقافية مما سمح لهم بالإبداع وإنجاز أعمال حضارية رائدة في مختلف التخصصات،[٤٩] كما أجزل سلاطين بني مرين الهبات والعطايا للعلماء على مؤلّفاتهم واختراعاتهم تشجيعًا لهم على مواصلة العمل[٥٠] وعلى العموم، فإن علماء تلمسان وبصفة أخص أولئك الذين ألحقوا بالمجالس العلمية لسلاطين بني مرين كانوا مقلين في التأليف، فرغم وصولهم إلى مراتب راقية في العلم، والاجتهاد إلا أنهم لم يتركوا لنا ثمرات تلك الجهود الفذة في شكل مؤلفات.[٥١]

وإذا ناقشنا أسباب هذه الظاهرة فلعل أول ما يلفت الانتباه مواقف بعض العلماء من قضية التأليف ذاتها فهذا أبو عبد الله الآبلي يقول: "إنما أفسد العلم كثرة التأليف[٥٢]" وما من شك أن موقف عالم بحجم الآبلي ترك أثره في تلامذته من بعده وذلك بالاهتمام بأخذ العلم من أفواه المشايخ، وعدم الجنوح نحو الكتابة وتدوين الأفكار نسبيًا[٥٣]، ولعله كان يرى أن هذا الأمر يؤدي إلى أن يصير (العلم والخطط بالتوارث)[٥٤] هذا دون إغفال دور الجانب السياسي والأمني وأثره في تدوين الكتب مع ما يحتاجه هذا الأمر من الاستقرار وهو ما لم يتوفر لعلماء المغرب الإسلامي[٥٥] والأكيد أنه لم يخف عن أولئك العلماء أنهم علماء بلاط، وعالم البلاط يضطر –في كثير من الأحيان– إلى التنازل عن بعض المبادئ وعندئذ تنقص الدقة والصدق لإنتاجه، وهو الاتجاه الذي سلكته التواريخ السلطانية وهو ما أدى إلى جعل قسم هام من نتاج المؤرخين في خدمة الحكام على حساب الموضوعية والصدق[٥٦]، وما وجد من تأليف كانت نزولاً عند طلب السلطان بنفسه، أو ألفها ذلك العالم

تقربًا من ذلك السلطان، أو حتى مساهمة منه في الحركة العلمية ومنها على سبيل المثال:

- **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**: للإمام أبي عبد الله محمد الشريف الحسني التلمساني والذي ألفه في أصول الفقه[٥٧] وأهداه للسلطان المريني أبي عنان فارس، وهو ما يظهر من مقدمة الكتاب المسجوعة[٥٨]: "... مولى الأنام، الخليفة الإمام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، أبو عنان أبقاه الله تعالى..."[٥٩].
- **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** لابن مرزوق الخطيب أنهى تأليفه سنة (٧٧٢هـ/١٣٧١م)، أطنب في مدح السلطان أبي الحسن وأشاد بالمكانة التي خص بها في عهده، فجمع فيه بين التأريخ للبلاط المريني والترجمة الشخصية[٦٠]، فأبواب الكتاب الخمسة والخمسين تتحدث عن مآثر السلطان أبي الحسن المريني في شتى الميادين: الإدارية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والعمرانية وهي بهذا تقدم مادة تاريخية خصبة عن البلاط المريني[٦١]، وهذا ما لم يتوفر في مصادر أخرى معاصرة أو لاحقة.

وفي ميدان الاختراع والإبداع لا أدلّ على تمكّن علماء تلمسان من الساعة المائية لابن الفحام والتي استحسنها السلطان أبو عنان وأكرمه عليها.

ثالثًا: القضاء

يشهد تاريخ القضاء في الإسلام أن كثيرًا من العلماء كانوا يرفضون وظيفة القضاء، ويعتذرون عنها خوفًا من عدم القدرة على القيام بمتطلباتها وتقديرًا منهم لخطورتها[٦٢] كونها "من الوظائف الداخلة تحت الخلافة[٦٣]"، فالقضاء "منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسمًا للتداعي وقطعًا للنزاع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنة[٦٤]". ولقد نظّم سلاطين بني مرين البارزون هذه الوظيفة، فكان لهم مجالس يترأسونها بأنفسهم للنّظر في القضايا المهمّة وسماع الشّكايات منها مجلس الفصل بالقصر الملكي بفاس[٦٥]، وعلى غراره أسس أبو الحسن المريني قبة العدل بكل من سبتة وتلمسان وهي عبارة عن مجلس للمظالم يترأسه بنفسه أو ينيب عنه شخصية يثق بها من الوزراء أو الفقهاء[٦٦] من جهة ثانية كان لأولئك القضاة رئيسًا أكبر يدعى قاضي القضاة[٦٧] كما كان للجيش قاض خاص يتنقل بتنقله، ويفصل في خصوماته.[٦٨]

وفي هذا الإطار نسجل العديد من الأسماء التلمسانية لعلماء مارسوا هذه الوظيفة برسم الخدمة في البلاط المريني نذكر منها على سبيل المثال: القاضي أبو عبد الله المقري الذي تولّى منصب قاضي الجماعة في فاس، وهو كبير القضاة والرئيس على القضاء[٦٩]، وله مكانة عظمى في التقدير والإجلال، والشخصية الكبرى في مجالات العلم والسياسة[٧٠] تظهر من خلال ما وصفته به المصادر، فهذا لسان الدين بن الخطيب يقول عنه: "فاستقل أعظم الاستقلال وأنفذ الحكم وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القاله وأحبته الخاصة والعامة[٧١]"، ووصفه صاحب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتي بقوله: "كان هذا الفقيه رحمه الله في غزارة الحفظ وكثرة مادة العلم عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبيرة، قلما تقع مسألة إلا ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال ويرجح ويعلل ويستدرك ويكمل قاضيًا ماضيًا عدلاً جذلاً[٧٢]".

ومن العلماء البارزين في القضاء أبو عثمان سعيد العقباني (٨١١هـ / ١٤٠٨م) الذي ولي قضاء بجاية في عهد السلطان أبي عنان.[٧٣] أمّا منصب قاضي العسكر فمن أشهر علماء تلمسان الذين تولوه القاضي أبو عبد الله بن عبد النور.[٧٤]

رابعًا: الدور السياسي لعلماء تلمسان

تميز الوضع السياسي لبلاد المغرب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤- ١٥م) بحدة الصراع والمنافسة بين دولها، وهو ما دفع في الكثير من الأحيان إلى تدخل بعض العلماء للتخفيف من تأزم تلك الأوضاع[٧٥] لكن دور العلماء برز بصفة أوضح من خلال تلك السفارات التي تولوها والتي كانت لأغراض مختلفة.

فبعد أن انتهت سفارة أبي الحسن التنسي بين أبي سعيد عثمان الزياني وأبي يعقوب المريني باستخلاص هذا الأخير للفقيه التنسي وضمه لمجلسه[٧٦] نجده يتولى السفارة لصالح السلطان أبي الحسن المريني لكن سفارة من نوع آخر، فهي ليست من أجل الصلح وإنما قد تكون مهمة بعض السفارات المرينية حمل الهدايا الملكية إلى سلاطين مصر مع رسائل في شأن هدايا البقاع المقدسة وفي التوصية بالحجاج، وفي هذه الحالة كانت تذهب السفارات في رفقة واحدة مع ركاب الحجاج[٧٧]، ومن بينها سفارة سنة (٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م) بين يوسف بن يعقوب المريني والناصر محمد بن المنصور الصالحي في دولته الثانية (٦٩٨-٧٤١هـ/ ١٢٩٩-١٣٤١م) وممَنْ ذهب فيها أبو الحسن التنسي إذ كثيرًا ما يرافق بعض ركاب الحجيج رجالات العلم والصلاح.[٧٨] كما استعمل السلطان أبو الحسن المريني بعد انهزامه في معركة طريف ابن مرزوق الخطيب في سفارة إلى النصارى من أجل إبرام معاهدة الصلح وفداء ابنه الأمير أبي عمر تاشفين إلى جانب تفقد بعض الثغور وسد حاجاتها،[٧٩] وقد نجح ابن مرزوق في مهمته وأظهر مقدرته الدبلوماسية في تمثيل السلطان والدفاع عن مصالح الدولة.[٨٠]

ولمّا تمكّن أبو عنان المريني من انتزاع عرش أبيه عهِد بكتابة عهد البيعة إلى الإمام أبي عبدالله المقري[٨١] في تلمسان وذلك للأسباب التالية:

- مكانته العلمية في تلمسان بعد تكوينه بها منذ نشأتهم خروجه لطلب العلم في الحواضر المختلفة.

- مصاحبة جل العلماء لوالده في حملته على افريقية، وكان أبو عبد الله المقري من العلماء القلائل الذين لم يتعاملوا مع والده.[٨٢]

وبعد هذا ضمه إلى مجلسه العلمي حيث تولى عدة مهام منها سفارته إلى الأندلس أين بقي سنتين، ولم يعد إلى فاس إلاّ بعد تدخّل جماعته من العلماء بطلب من السلطان نفسه[٨٣]. كما استدعى أبو عنان ابن مرزوق الخطيب وضمه إلى مجلسه العلمي وكلّفه بالخروج في عدة سفارات باسمه منها:

- افتداء طرابلس من أيدي النصارى بملغ خمسين ألفًا من الذهب العين.[٨٤]
- بعثه إلى تونس ليخطب ابنة السلطان التي ردت الخطبة واختفت، ووشي إلى السلطان إن ابن مرزوق كان مضطلعًا على مكانها فسجن لذلك،[٨٥] لكن مكانة ابن مرزوق استمرت إلى عهد السلطان أبي سالم – كما سبقت الإشارة – ورأس عنده رئاسته كبرى.[٨٦]

وبهذا يعتبر ابن مرزوق الخطيب آخر علماء تلمسان الذين احتفظوا بولائهم لسلاطين بني مرين، في عهد السلطان أبي سالم، ثم في عهد أخيه عبد العزيز، وتعتبر فترة حكم هذين السلطانين آخر عهد قوة بالنسبة للدولتين الزيانية والمرينية على حد سواء، بسبب غياب الاستقرار السياسي والتنافس على العرش.

خاتمة

من أهم ما ميز المشهد الثقافي للمغرب الإسلامي تلك المنافسة بين سلاطين دوله حول استقطاب أبرز العلماء والفقهاء والشعراء واستقدامهم إلى حواضرهم، وقد تميز منهم سلاطين بني مرين من خلال جهودهم لاستقطاب أولئك العلماء وبذلهم في سبيل ذلك جهودًا حثيثة عكستها عدة مظاهر منها تشييد العمائر من مساجد ومدارس وتقليدهم أسمى الوظائف والرتب وأيضًا الحاقهم بالمجالس العلمية الخاصة بأولئك السلاطين.

وبهذا يمكن القول؛ أن الحضرة الفاسية استقطبت عددًا من علماء تلمسان ونالوا الوجاهة وعظم الشّأن والمكانة في ظلّ سلاطين بني مرين الذين التحقوا ببلاطهم، حيث اعتبر بنو مرين مدينة تلمسان مدينة مغربية شأنها شأن باقي المدن في المغرب الأقصى، وعملوا على التواصل مع سكانها بمختلف فئاتهم، فكانت منشآتهم الدينية والتعليمية من أهم ما استقطبوا به طلبة العلم وشيوخه، وبهذا سمت تلك المنشآت العمرانية عن جانبها المادي إلى التأثير المعنوي، إذ ليس كل شيء يفرض بالقوة، وكلّنا نعلم تأثير فئة العلماء وكلمتها النافذة في باقي شرائح المجتمع.

الهَوامِشُ:

(١) مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٤٥ من مقدمة المحقق.

(٢) عبد العزيز لعرج، "**العمران الإسلامي وعمارته السكنية، قيم دينية ودلالات اجتماعية**"، في حولية: المؤرخ، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين، العدد (٣-٤)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، الجزائر، ص ٧.

(٣) عبد العزيز لعرج، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤م، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين، الجزائر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ،ص ١٧٩.

(٥) إبراهيم حركات، **الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب**، في مجلة: الأصالة، العدد ٢٦، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، الجزائر، ص ١٨٦.

(٦) صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص ١٧٠.

(٧) عبد الحميد حاجيات: "**تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط**" في مجلة: الحضارة الإسلامية، صدرت عن المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، العدد الأول، شوال/أفريل ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، وهران، ص ٤٠.

(٨) عبد العزيز لعرج، **المباني المرينية**...، ص ٢٣٦؛ روبير برونشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى القرن ١٥**، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ج١، ص١٩٨.

(٩) العربي لقريز، **مدارس السلطان أبي الحسن علي مدرسة سيدي أبو مدين نموذجا دراسة أثرية وفنية**، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م،ص ٣١.

(١٠)عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (٦١٠هـ/١٢١٣م)/ (٨٦٩هـ/١٤٦٥م)**، دار القلم الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٣١٩.

(11) Atallah Dhina' Les états de l'occident musulman aux XIII, XIU et XU siècles O.P.U, Alger, S,D.p.313.

(١٢)عبد العزيز لعرج، **المباني المرينية**...، ص ٣١٥.

(١٣)عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة المرينية في تلمسان**، زهراء الشرق، ٢٠٠٢م، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٨.

(١٤)محمد رزوق، **التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي تأصيل تاريخي: ضمن دراسات في تاريخ المغرب**، إفريقيا الشرق ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ٧٢.

(١٥)عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، اعتنى به: خليل شحادة وراجعه: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٨م، ج٧، ص ٢٩٣؛ عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ٣٢٠.

(١٦)عبد العزيز لعرج، **مدينة المنصورة**...، ص٣٥.

(١٧)ابن مرزوق، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٨٧-٢٨٨؛ عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، الجزائر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م، ج١، ص ١٤٧.

(١٨) محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص٣٢٢ ؛
R.Bourouiba L'art religieux musulman en1Algérie S.N.E.D, Alger, 1983., p.169-170.

(١٩)ابن مرزوق، **المسند**...، ص ٤٠٦؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص١٧٠؛ العربي لقريز، المرجع السابق، ص ٥٦- ٥٩.

(٢٠)الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢، ص١٩؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص ١٧٧-١٦٩؛ R.Bourouiba op, cit, p. 249.

(٢١)أبو العباس أحمد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج٤، ص١٥.

(٢٢)محمد محمود عبد الله بن بيه، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**، دار الأندلس الخضراء، جدة /دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٩ ؛ عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، الدار البيضاء، ب.ت، ج1، ص٤٦.

(٢٣)عبد الحميد حاجيات: "**الحياة الفكرية في تلمسان في عهد بني زيان**" في مجلة: الأصالة، العدد ٢٦ ، أوت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص١٣٦.

(٢٤)إبراهيم حركات، **الصلات الفكرية**...، ص١٨٥.

(٢٥)صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص١٢٣.

(٢٦)إبراهيم حركات، **الصلات الفكرية**...، ص١٨٦.

(٢٧)أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (١٦-٢٠م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص٤٠١.

(٢٨)ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ،ص٣٠٤؛ بوبة مجاني: "**تاريخ أسرة المرازقة من خلال مخطوط لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق المعروف بالخطيب والجد والملقب بشمس الدين (ت٧٨١هـ/١٤٧٦-١٤٧٧م)**" في مجلة: حوليات يصدرها المتحف الوطني للآثار، العدد الثامن، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، الجزائر، ص١٢٦.

(٢٩)يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج١، ص١٢٥.

(٣٠)روجيه لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة: نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، نيويورك، مكتبة لبنان، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص٤٥.

(٣١)أحمد بن أبي يحي، **مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحيى عبد الرحمن**، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم ٣١٤، من الموقع: www.fondation.org.ma، الورقة ٧ / و.

(٣٢)ابن مرزوق، **المسند**...، ص٢٦٥.

(٣٣)ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٢٤؛ إلى جانب فتاوى من هذين الإمامين وعلماء آخرين في عدة قضايا انظر بعضها عند: (ابن مرزوق، **المسند**...، ص١٣٠، ٣٠٣، ٢٨٧-٢٨٩، ١٩٢، ٢٠٩؛ المازوني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق: حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات قسم علم المكتبات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج٢، ص١١٢، ١٨٣، ٢٩٣، ٢٥٣؛ الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب**، تحقيق: محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٦، ص٣٢٩ على سبيل المثال فهو في الأصل مجموع لفتاوى عدد من العلماء بما فيهم علماء تلمسان.

(٣٤)عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج٢، ص٤٩٧.

(٣٥)محمد الشريف سيدي موسى: "**التربية والتعليم بالجزائر في العصر الوسيط**" في حولية: المؤرخ، العدد الثاني، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٩٤.

(٣٦)عبد العزيز بومهرة: "**التعليم في المغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري**" في مجلة: التواصل، العدد١١ ديسمبر ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٣٢.

(٣٧)عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٤٣٨؛ عبد المجيد تركي، **كيف يفسر ابن خلدون ظاهرة ازدهار العلوم الدينية وركودها بالمغرب والأندلس ضمن: قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي**...، ص٤٠١-٤٠٢؛ رابح بونار: "**عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر**" في مجلة: الأصالة، العد ١٩، ربيع الأول/ أفريل، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، الجزائر، ص٣٠٧.

(٣٨)عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، ص٤٣٩.

(٣٩)ابن عبد الملك المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٤٠)عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، ص٤٣٩.

(٤١)عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، الصفحة ذاتها؛ عبد المجيد تركي، المرجع السابق، ص٤٠١.

(٤٢)بابا خويا الحاج المهدي، **الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت ٧٧١هـ) وجهوده الأصولية الفقهية**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٣٢؛ روبير برونشفيك، المرجع السابق، ج١، ص١٩.

(٤٣)عبد العزيز بو مهرة، المرجع السابق، ص١٣٣.

(٤٤)أبو العباس المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: سعيد أحمد أعراب وعبد السلام الهراس، صندوق إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م،ج٣، ص٢٧-٢٨، وكانت هذه الحادثة عقب إنهاء السلطان أبي عنان بناء مدرسته المتوكلية بفاس والبحث عن عالم يسند إليه مهمة إقراء الفقه بها وكان في طليعة المرشحين اثنان من كبار علماء تلمسان هما أبو عيسى موسى بن الإمام وأبو عبد الله شريف انظر: (محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ص٣٨٢).

(٤٥)عبد العزيز بومهرة، المرجع السابق، ص١٣٣.

(٤٦)أبو العباس المقري، **أزهار الرياض**...، ج١، ص٥.

(٤٧)جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت، ج٣، ص١٨٩.

(٤٨)يحي بوعزيز: "**الأوضاع السياسية والثقافية في عصر الشيخين محمد ابن مرزوق وأحمد بن قنفذ الخطيب**" في مجلة: دراسات جزائرية، العدد الأول، جوان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٦٥.

(٤٩)محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص٣٣٩.

(٥٠)عبد الجليل قريان: "**حركة التآليف في تلمسان في العهد الزياني ٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٥-١٥٥٤م**" في دورية: قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، تصدر عن مخبر الدراسات الحضارية والفكرية كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة تلمسان العدد التجريبي، ديسمبر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص١٧٣؛ رابح بونار، **عبقرية المشداليين**...، ص٣٠٧؛ محمد المختار اسكندر، **المفسرون الجزائريون عبر القرون رواية ودراية من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر**، دحلب، الجزائر، ب.ت، ص١١١.

(٥١)ابن مريم، المصدر السابق، ص٢١٦.

(٥٢)عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص١٧٤.

(٥٣)أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ،ج٢، ص٥٥.

(٥٤)عبد الجليل قريان، المرجع السابق، ص١٧٤.

(٥٥)عبد الحميد حاجيات، **مقدمة تحقيق بغية الرواد**...، ج١، ص٦١-٦٢.

(٥٦) أحمد بن أبي يحي بن أبي عبد الله الشريف، المخطوط السابق، الورقة ٢٧ / ظ.

(٥٧) الحجوي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مطبعة النهضة، تونس، ١٣٣٥هـ/١٩١٦م ، ج٤، ص٢٥٤؛ محمد بوشقيف، **تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤و١٥هـ)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٢٠٦،١٥٩؛ محمد بن رمضان شاوش والغوتي بن حمدان، **الأدب العربي الجزائري عبر النصوص**، طبع هـ داود بريكسي، تلمسان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٦٠.

(٥٨) أبو عبد الله الشريف، **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، ويليه كتاب مثارات الغلط في الأدلة، تحقيق: محمد فركوس، المكتبة الملكية السعودية، مكتبة الريان، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ،ص٢٦٠.

(٥٩) ابن مرزوق، **المسند**...، ص٦٦؛ وله أيضًا: **المناقب المرزوقية**...، ص٨٠؛ ابن سودة، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١١١.

(٦٠) ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**...، ص٨٠.

(٦١) الأنصاري، **فهرست الرصاع**، تحقيق: محمد العناني، المكتبة العتيقة، تونس، ب، ت،ص٣٣٤؛ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج١، ص٤٠١- ٤٩٨؛

Atallah Dhina, op.cit,p.321.

(٦٢) عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، ص٢٢٩.

(٦٣) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٦٤) محمد المنوني، **ورقات**...، ص٨١-٨٢.

(٦٥) ابن فضل الله العمري، **وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني مقتبس من "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"**، ضمن كتاب، محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص٥٦٦؛ محمد المنوني، **ورقات**...، ص٨٢؛ إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٢٧.

(٦٦) إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص١٢٧.

(٦٧) المرجع نفسه، ص١٢٧؛ إبراهيم بحاز: "**مدخل إلى القضاء عند الزيانيين**" في مجلة: الوعي، العدد المزدوج (٣-٤)، جمادى الثانية/ ماي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٦٣.

(٦٨) ابن فرحون، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٥؛ المقري، **رحلة المقري إلى المغرب والمشرق**، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ص٥٢؛ إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص٦٣.

(٦٩) الأنصاري، **فهرست الرصاع**، ص٣٥.

(٧٠) **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، مج٢، ص١٩٥.

(٧١) أبو الحسن النباهي، **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٢٨.

(٧٢) هو سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيبي التلمساني، كنيته أبو عثمان، ولد سنة ٧١٦هـ، أخذ عن أبي الإمام والآبلي وغيرهما، عدّ من أكبر علماء عصره (ت. ٨١١هـ/ ١٤٠٨م): (المجاري، **برنامج المجاري**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م، ص١٣٢؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص١٠٧؛ التنبكتي، نيل الابتهاج...، ج١، ص ٢٠٥)

(٧٣) ابن مرزوق، **المسند**...، ص٢٦٧،١٧٣،١٤٢.

(٧٤) نصر الدين بن داود، **بيوتات العلماء في تلمسان من القرن ٧هـ-١٣م إلى القرن ١٠هـ-١٦م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، جامعة تلمسان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٢٦٣.

(٧٥) ابن مرزوق، **المسند**...، ص٤٧٩.

(٧٦) محمد المنوني، **ورقات**...، ص١٧١.

(٧٧) محمد المنوني، **ورقات**...، ص١٧٤.

(٧٨) ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**...، ص٣٠٥؛ وله أيضًا: **المسند**، ص٤٦٧، ٤٩٥؛ ابن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، الرباط، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٢٥؛ الناصري، المرجع السابق، ج٤، ص ٣٤.

(٧٩) نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص٢٦١.

(٨٠) عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...، ص٦٨؛ التنبكتي، **نيل الإبتاج**...، ج٢، ص٧٦.

(٨١) صابرة خطيف، **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية (٦٣٣-٧٩١هـ/١٢٣٥-١٣٨٨م)** الجهاز الديني والتعليمي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٨٨.

(٨٢) عبد الرحمن بن خلدون، **التعريف**...، ص٦٠؛ أبو العباس المقري، **نفح الطيب**...، ج٥، ص٢٠٩.

(٨٣) ابن مرزوق، **المناقب المرزوقية**...، ص٣٠٨؛ يحي بوعزيز، **الأوضاع السياسية والاقتصادية**...، ص٧٠.

(٨٤) عبد الرحمن ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا**، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٥٢.

(٨٥) يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص١١٥.

(٨٦) المصدر نفسه، ص١١٥؛ عبد الحميد حاجيات؛ **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص١٥، ٢٥.